عبد الرحيم شراك

بائع الوقت

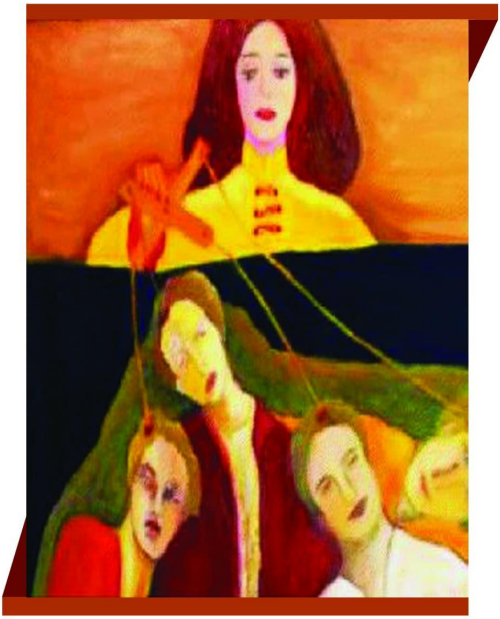

مجموعة قصصية

" جائزة زهرة زيراوي للإبداع الشبابي "
الدورة الأولى 2018

❖ النوع : مجموعة قصصية
❖ كتاب : بائع الوقت
❖ تأليف : عبد الرحيم شراك
❖ الطبعة الأولـى : 2018
❖ لوحة الغلاف : الراحلة زهرة زيراوي
❖ الناشر : جمعية ملتقى الفن - جامعة المبدعين المغاربة
❖ اللجنة المشرفة على الجائزة :
محمد رضائي / محمد اللغافي/ سميرة رضائي/ أيوب مليجي
❖ جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
❖ الإيداع القانوني : 2018MO3941
❖ ردمـك : 978-9954-710-30-2
❖ البريد الإلكتروني للجائزة :
❖ Prix.zahra.ziraoui@gmail.com

مطبعـة وراقـة بـلال ش.م.م
IMPRIMERIE PAPETERIE BILAL
S.A.R.L
BILAL
IMPRIMERIE PAPETERIE
N°100 Av. Sidi slimane Rue Al Madina Al mounawara
Hay Al Amal, Narjiss FES
Tél/Fax: 05 35 61 86 03 - GSM: 06 61 68 70 55
Imp.bilal@gmail.com - www.imp-bilal.com

كلمة أسرة الراحلة

والدتنا زهرة زيراوي:

ونحن نخلد الذكرى الأولى لسفرك إلى فردوسك البعيد، فكرنا في أن يكون هذا التخليد بصورة استثنائية بعيدة عن الحزن. حيث أطلقنا النسخة الأولى لـ "**جائزة زهرة زيراوي للإبداع الشبابي**" بتنسيق مع إخواننا في جامعة المبدعين المغاربة.
وكما كنت تفكرين دائما في الأدب والأدباء، عبر صالونك الأدبي المفتوح منذ سنة 1990، حيث قمنا إلى جانبك بتكريم العديد من الأسماء العربية والمغربية، وتنظيم العديد من الأنشطة الثقافية ما بين المغرب وأوروبا . قررنا أيضا أن نسير على خطاك، ونستمر في هذا العمل عبر "**جمعية ملتقى الفن**" حيث سطرنا من خلالها برنامجا ثقافيا متنوعا، هذا إلى جانب الجائزة السنوية التي نروم من خلالها تشجيع الأدباء والمبدعين الشباب.
ومن هنا نشكر كل الأيادي البيضاء التي ساهمت من قريب أو بعيد في إنجاح هاته الدورة، سواء إخواننا في جامعة

المبدعين المغاربة، وكذلك لجنة التحكيم التي سهرت على قراءة وفرز الأعمال الفائزة نخص بالذكر:

القاصة الدكتورة لطيفة لبصير

الناقد الدكتور رشيد الإدريسي

القاص والروائي العماني محمود الرحبي

الناقد الدكتور حسن الغشتول

الأستاذ يوسف سونة

الأستاذة فاطمة الزهراء اشهيبة

الدكتور محمد الوادي

كما نهنئ الفائزين بالنسخة الأولى لـ"**جائزة زهرة زيراوي للإبداع الشبابي**" – **صنف القصة** . ونتمنى لهم كامل التوفيق والإستمرارية.

سأكون في داخله

يقولون أن الحب أعمى، وأنا أقول أنه أبكم وأصم أيضا، ما أصعب أن تحب شخصا من نفس فصيلتك فما بالك لو أحببت كائنا من فصيلة أخرى والأسوأ والأفظع أن يكون نمرا ! هل تتخيلون أنني أحب نمرا؟ قد يبدو لكم الأمر غريبا. لكنها الحقيقة كاملة بعظمها ولحمها وشحمها...حبي نقي وصافي نابع من الأعماق. إنه الحب الذي لا يعرف وقتا أو مكانا أو زمانا، لا يعرف الفرق بين غني أو فقيرة، ولا بين عربي وأعجمية ولا أستاذ و تلميذة ولا بين نمر و غزالة، كما في حالتي هاته !

أنا الغزالة نونو، في الحقيقة لم أعلم أنني غزالة حتى رأيت نفسي في المرآة بالصدفة. أنا أحب نمرا ! نعم أنا أعشقه حتى الجنون، هل يمكن أن نتزوج ونلد نمورا مغزلين أو غزلانا منمرة في المستقبل؟ لماذا لا يمكن أن نتزوج؟ هل يمكن أن نركب العمَارية[1] معا كما يفعل كل العرسان السعداء؟ لماذا لا يمكن أن نحب بعضنا البعض؟ أليس هذا العالم ظالما بما يكفي... لا تجيبوني عن أسئلتي فأنا أعلم أنكم قد تمزقون هذه الورقة التي

[1]من التقاليد المغربية في الأعراس

كتبت فيها قصتي (أو تحطمون الحاسوب أو الهاتف و اللوحة الالكترونية إذا كنتم تقرؤونها إلكترونيا).

أؤمن بالحب من أول نظرة! حين رأيت حبيبي نمرور اقشعر جسدي و انتصب الزغب في أنحاءه، كانت عيناه تلمعان وكاد أن يفترسني. لكنه أشفق علي، رغم كونه جائعا لم يأكلني ولم يقطعني إربا إربا كما توقع علماء ناشيونال جيوغرافيك دائما! لقد رقَ لحالتي و ابتسم في وجهي – أو تخيلت ذلك – ثم تركني أعود لمنزلي في هدوء.

حينما حكيت لوالدتي ما وقع صفعتني بقوة وحرمتني من أكل الأعشاب لمدة خمسة وعشرين ساعة، أما أبي فلم يسجلني في مدرسة الغزلان المختلطة الثانوية وسخط علي كما نعتني بأسوأ الشتائم (18 +)، لقد أصبت بالحزن الشديد، والعشق الممنوع في الوقت ذاته، أضحيت أحلم بعينيه الجميلتين ليل نهار وأنا أسأل نفسي: هل يحبني؟ لماذا لم يلتهمني في تلك اللحظة؟ هل أنا أهمه لهذه الدرجة؟

مرت الأيام وأنا باقية على حالتي... تقدم لخطبتي الكثيرون لكنني رفضتهم، كنت أريد النمر فقط. كنت شبه متأكدة أنه يحبني رغم أن زواجنا من تاسع المستحيلات.

احتارت عائلتي في حالتي الغريبة أو الشاذة كما وصفها البعض، أصابني اكتئـاب حاد ومرض باركينسون وتصلب في الشرايين. كنت أرغب في رؤيته كل يوم حتى ولو ضحيت بحياتي. منعني والدي من رؤية العالم الخارجي وربما حتى الداخلي، عاقباني بأشد العقوبات وهددني بأقوى التهديدات، لكن قلبي كان يهذي باسمه فقط. كنت أحلم أن يأتي ويخرجني من حيرتي وأسري، كنت أتمنى أن يخطبني من أهلي كما تفعل حيوانـات الأرض والكواكب الأخرى. هذا حق من حقوقي، مثله مثل حق التعليـــم والصحة والعدل، لكن كل ما تمنيته لم يحدث!

مضت سنوات عجاف على بداية حبي له. بقيت متشبثة بأمل يائس، قالوا أنه تزوج بنمرة جميلة من الغابة المجاورة، حكوا لي كثيرا عن ليلة العرس الأسطورية التي حضرتها كل حيوانات الغابة ما عداي، قررت القيام بإضراب عن الطعام

لكنني تراجعت بعد أن شعرت بالجوع و أعدت أمي أكلتي المفضلة "سبانخ بديدان الأرض". أصبحت حياتي بائسة جدا ومملة وربما أسوء من حكاية البؤساء لفيكتور هوغو، كان الكل مشفقا علي وعلى حالتي السيئة، كما ضربت بي بعض العائلات المثال في العنوسة لإخافة بناتهن القاصرات. أمسيت أعيش في عذاب نفسي لن يستطيع وصفه أي كاتب قصص مهما بلغت قدراته الإبداعية و موهبته.

استمر الحال على ما هو عليه، حتى نسي والدي ذات يوم مفتاح المنزل حين ذهب مع والدتي لزيارة سوبر ماركت "عطشان". حينها فقط خرجت بسرعة لمكان عيش نمرور بسرعة البرق. لم أصدق عيني حين لمحته ! أجل لقد رأيته بأم عيني مع زوجته، لديه طفلتان جميلتان .

كان يعلمهما الافتراس واصطياد الحيوانات الصغيرة وكل المهارات المطلوبة كي تعيشا في هذه الحياة، ارتعش جسمي حين رأيته، ولم أعرف ماذا أفعل، سمعته ينادي احداهما باسم "غزالة" فصرخت في داخلي: "لقد سماها باسمي يا إلهي !". طرت من الفرحة، شعرت أنه ربما لا زال يحبني ويفكر في حبنا

الأسطوري، دموع دافئة نزلت من عيني وأنا متأكدة أنها دموع فرح، بل يجب أن تكون كذلك. خرجت من بين الأشجار معلنة عن نفسي فابتسم ولم يقترب مني، بل أشار إلى طفلتيه بالهجوم علي، لم أهرب ولم أفعل أي شيء بل استسلمت بكل هدوء و أنا مبتسمة. فسأضمن أنني سأكون داخل معدته بعد أن يأكلني، وفي أحشاءه وكل جزء من جسمه، سأكون في داخله وسأكون سعيدة جدا بذلك. بل أسعد مخلوقات الكون...

أوراق صداقتنا

ما زلت مندهشا من هول ما رأيته للتو، وما زال قلبي ينبض بشدة! لقد تبعثرت أوراق صداقتنا على الأرض في لمح البصر، واتسخت هناك بعدما كانت بيضاء صافية كالثلج، لم أشعر بنفسي إلا وأنا أهرول محاولا جمعها رغم كثرة عددها، لكنّ الصدمة كانت أقوى عندما لم يساعدني حسام في ذلك، بل ذهب فجأة واختفى من أمامي!

بذلت كل جهدي حتّى جمعت الأوراق كلّها بسرعة، فاحتضنتها بكل ما أملك من قــوة وكأنه الاحتضان الأخير، أحسست بشعور غريب آنذاك، ثم أخذتها بيديَ برفق ،ورغم سعادتي الكبيرة بإنجازي، فقد تمنيت لو ساعدني صديقي حسام في حملها كما كان يفعل عادة من قبل لكنني توقعت أن لديه عملا ما أو ظروفا خاصة، فهل يُعقل أن يتركني صديقي في وقت الشّدة؟

نهضت حاملا الأوراق بمفردي وقررت الذهاب إلى المنزل، حاولت البقاء متفائلا وكلما تمشيت بضع خطوات، كنت ألتفت إلى الوراء علّني أجد صديقي مسرعا لمساعدتي. لكنني استمريت وحيدا في طريقي، وكان كل همّي حمايتها من

الأمطار التي بدأت تتساقط بهدوء وكأنها تشاركني أحزاني. يبدو أن الجو أصبح أبرد مما كان عليه من قبل، أشعر بالحنين للدفء، بدأت يداي ترتجفان ولم تعودا قادرتين على حمل كل تلك الأوراق، كما أن بعضها بدأ يبتل بسبب الأمطار المتساقطة. أين أنت يا حسام لتساعدني في حمل أوراق صداقتنا ؟ لماذا تركتني أسير كل هذه المسافة بمفردي؟ فأنا لا أستطيع الاستمرار وحدي..

لم تفارق صورته خيالي أبدا، كما أجزم أنني كنت أراها في برك الماء التي ملأت الطريق، ما زلت أتذكر لحظة سقوط الأوراق على الأرض، هل حاول فعلا حسام رميها أم كان ذلك بدون قصد؟ لا أدري لماذا أحاول أن أتناسى ذلك المشهد؟ أحس بألم كبير في قلبي وكأنني تعرّضت لطعنة في صدري..

لم تعد الأوراق خفيفة كما كانت من قبل، فقد تسرّب الماء إلى معظمها. أصبح الجو قاسي البرودة ،وبدأ التعب يتسلل إلى داخل جسمي، ولم أجد حلا آخر غير الارتماء على الأرض، لم أعد أحتمل أكثر يا حسام، يجب أن أترك هذه الأوراق، سيل من الدموع بدأ يجري على وجهي، ولا يريد أن يتوقف. ما أصعب التخلص من هذه الأوراق! فهي دافئة بشكل مؤلم، حاولت التأمل فيها قبل أن أودّعها ،لكنني فوجئت بيد تُربّت على كتفي، هل جاء حسام أخيرا ؟

نظرت للشخص الذي جاء إليّ ، فإذا به زميلي أسامة، نظر إلي مبتسما ثم قال لي: قم يا سعد! سأحمل معك الأوراق. في الطريق، فلديّ مظلة تحمينا من الأمطار.

قصص سيئة جدا

ما أسوأ هذا الشعور الذي ينتابني في هذه اللحظة! ما أزال أتساءل في داخلي :

لماذا يحدث هذا الأمر معي؟ هل أخطأت لهذه الدرجة؟ لم أصدق نفسي عندما قال والدي باستهزاء شديد عن قصصي أنها سيئة جدا، وليس فيها أي ذرة من الجمال، وافقته والدتي فورا وقالت بقسوة ، أن الناس المهتمين بالأدب فاشلون ويضيعون وقتهم فقط، حتى أستاذ اللغة العربية أيضا قال نفس الأمر لي، وعدة أساتذة آخرين في هذا اليوم.

هل الكل يعتقد هذا الأمر؟ هل يجب أن أتوقف عن الكتابة؟ أنا أحب هوايتي، وأحس أن في داخلي مجموعة من المشاعر والأحاسيس التي أود ترجمتها إلى قصص، حتى أنني أريد اختيار الشعبة الأدبية في الدراسة لاحقا، كي أستمر في هذا الميدان الذي أحبه، لكنهم يريدون حرماني مما أريد.

يتكرر نفس السيناريو مجددا، ولا أعلم لماذا كل هذا الهجوم عليّ ؟ في كل نقاشاتهم معي يستدلون بالأمثلة الواقعية!

ها هو أبي يبدأ كلامه المعتاد قائلا : "اسمع يا حسام كلامي كي لا تندم، عمك أصبح دكتورا.. والآخر مهندسا..

لأنهم اختاروا الشعبة العلمية، أما طريق الأدب فلن يوصلك لشيء، الكل في العائلة اختاروا التوجه العلمي في الدراسة ،ولا يحبون الأدب" وافقته والدتي متسائلة : "هل ستشفي الناس من الأمراض الخطيرة بالأدب؟ هل ستكتشف كوكبا جديدا يا حسام؟" لم أستطع الرد حينها من الصدمة، لكنني أعرف أن القلم سلاحي وأثق به ثقة كبيرة، لا أحب الاستسلام ولا الرضوخ لآرائهم، وأريد أن أتحدى الجميع لأنني أؤمن بموهبتي.

مضى يومان على تلك الواقعة، وبعد جلسة طويلة مع نفسي استجمعت قواي لأبدأ معركتي من جديد وأهزم كل هذه الأفكار السوداء، كما شجعني صديقي الوحيد وسام على الاستمرار في هذا الطريق، منذ عرف بأمري وهو يقف إلى جانبي، إنه يحاول مساعدتي بكل قوته. غمرتني فرحة عارمة عندما أخبرني بأمر المسابقة الجديدة للقصة في المدرسة، فقررت أن أكتب وأشارك فيها. وجدتها فرصة لا تعوّض فقد كان لزاما عليّ أن أفوز وأكتب أجمل قصة لأرفع من معنوياتي ومن ثقتي بنفسي، أريد أن أثبت لوالديّ ولكل عائلتي أنني شخص جيد و ناجح. لكن ما إن وجدني والدي في الغرفة،

أكتب فيها قصتي الجديدة حتى قفز نحوي ورمى الأوراق في وجهي مهددا إياي، أقنعته بصعوبة أن الأمر مهم جدا بالنسبة لي، فوافق على مضض لكنه قال بحزم : "إنها آخر فرصة لك، وإذا فزت سأدعك تستمر في الكتابة أما إذا خسرت فستنسى هوايتك للأبد ، ولكن.. تذكر دائما أنني أريد مصلحتك يا بني"، ابتسمت وأعلنت التحدي، وتصافحنا لتأكيد الاتفاق، وقررت يومها أن أبذل قصارى جهدي من أجل هدفي.

مرّت الأيام بسرعة، حتى حان وقت إعلان نتائج المسابقة التي كنت أنتظرها بفارغ الصبر، فذهبت مع والديّ لحضور حفل التتويج، الكل مترقب ومتشوق لمعرفة الفائز، وقلبي يدق بشدة ، لأن الأمر بالنسبة لي قضية حياة أو موت. صُعقت عندما نطق أستاذ اللغة العربية باسم التلميذ المتوّج، خرجت الدموع من عينيّ بدون أن أتحكم فيها لكنني مسحتها قبل أن يراها الناس، فرح والديّ فرحا شديدا، ونظرا إلي بعدما عرفا بأمر خسارتي، لكن صديقي الوحيد واساني بألم. قاومت حزني وذهبت لأسأل لجنة التحكيم عن قصتي، فقالوا عنها أنها سيئة جدا، وغير صالحة حتى للقراءة، أصبت بخيبة أمل كبيرة جدا،

وانفجرت بالبكاء بقوة حتى سمعني كل من حضر الحفل، حاول والداي تهدئتي ، فذهبوا بي في الحين لزيارة خالي الوحيد الذي كان أديبا في ما مضى، نظر إليّ بحزن وحكى لي معاناته باسترسال وكيف إنه أصبح يبيع المكسرات والحلوى اليوم ، قال لي بصوت حزين : "نصيحة من ذهب يا ابن أختي الغالي، انس الأدب، واسمع كلام والديك ". لمحت دمعة حارة في عينه اليمنى، فنظرت إليه مصدوما ومتألما وقلت في نفسي : " يا إلهي ! لماذا يقول خالي هذا الكلام؟ " فقد كان فرحا من قبل بموهبتي ويشجعني، أما الآن فقد أصبح يقول هذا الكلام بعد أن عانى الأمرّين، اعتبرت هذا اليوم أسوأ يوم في حياتي، وبعد أن عدنا للمنزل أغلقت الباب على نفسي، لكنّ أبي دخل بسرعة وأمسك بدفتر قصصي والأوراق ورماها في سلة المهملات، بعد أن قطّع بعضها إربا إربا، جاءت والدتي أيضا، نهضت من مكاني فورا وأخذت أساعده في عمله بحماس ورميت الباقي في سلة المهملات بالخارج، قطعت خواطري وأحلامي بيدي، رغم الألم الشديد بداخلي. إنهما يضحكان بجنون، كنت أضحك بجنون معهما فقد كانا فرحين جدا بما

حصل، ذرفت يومها دموعا لم أذرفها من قبل بتلك الكمية، لكنهما لا يعرفان هل كانت دموع حزن أم فرح يا ترى؟

لا أعرف ما الذي بدأ يحصل لي منذ ذلك الحين، فقد أقنعت نفسي بعنف بالتخلي عن حلمي وقررت أن أبدأ من الصفر، أرغمت نفسي في البداية بصعوبة، لم أعد أقرأ القصص والروايات والمجلات، قطّعت كل شيء يذكرني بهوايتي السابقة، وكسرت قلمي الذي أكتب به، علّقت في السابق على باب غرفتي ورقة مكتوب عليها: "الكاتب حسام" ولكنني أزلتها الآن ووضعت مكانها "الطبيب حسام". صمّمت على نسيان كل شيء، لقد دفنت حلمي الجميل للأبد، وتأكدت أنه لن يعود للحياة من جديد،تغيّرت حياتي كليا وانقلبت مئة وثمانين درجة، اخترت الشعبة العلمية التي أرادها والديّ بعد ذلك ،وقررت أن أعيش الحياة التي رغبا فيها. كانا يفتخران بي أمام النـاس ويقولان بثقة: "هذا طبيب المستقبل" .كان هذا الأمر يسعدني لأنني لم أعتد هذا التشجيع من قبل، فوعدت نفسي أن أبذل جهدي لأثبت نفسي في هذا الميدان الجديد رغم أنني لا أحبه، ولكنني كنت مضطرا كي أبني مستقبلي ويستمرا في تشجيعي،

فعادت لي ثقتي بنفسي رغم بعض الخوف والقلق. مرت الأيام ببطء شديد، لم أعد أقرأ الكتب الأدبية، لم أعد أكتب ولم أعد أشارك في مسابقات القصة، لم يكن توجهي العلمي جيدا فرسبت في الدراسة لأول مرة، وشعرت بطعم الفشل أكثر. انقلب كل ذلك النجاح الوهمي الذي أحسست به إلى فشل ذريع، ندمت أشد الندم وأحسست بتخبط كبير في حياتي، لم أعد أدرس جيدا، بل وأصبحت من الكسالى بعد أن كنت في القمة من قبل، باختصار تحولت حياتي إلى جحيم بكل ما للكلمة من معنى، وكانت الأيام تمر ولا أحس بطعمها أبدا.

استمرّ الزمن في سباقه حتى راودني شغفي بالكتابة والقراءة في أحد الأيام، لم يكن والديّ في المنزل فوجدتها فرصة ملائمة، خرجت من المنزل وعدت إلى غرفتي بسرعة بعد أن اشتريت مجلتي المفضلة، أغلقت الباب جيدا ، وكأنني أقوم بعمل محرّم.كنت مشتاقا للقراءة، فأخذت أطالع المواضيع المنشورة بالمجلة، حتى فاجأتني بعض القصص المألوفة لدي، فركت عينيّ عدة مرات لأتأكد من الأمر! إنها قصص كتبتها بنفسي في السابق! كانت موقعة باسم مجهول وكتب أمامها

رئيس التحرير: "لقد وجدنا هذه القصص بالصدفة، مرمية في الشارع وكاتبها موهوب دون شك". امتزجت دموع الفرح مع دموع الحزن، وأحسست بقليل من طعم النجاح الذي اشتقت إليه، كانت صدمة قوية مثل الصدمة التي أحسست بها عندما علمت فيما بعد أن أبي كان هو المسؤول عن عدم نجاحي في المسابقة، وعن رأي أساتذتي في قصصي بعد أن اتفق معهم. نهضت من مكاني في الحين، قررت هذه المرة ألّا أنظر إلى الخلف أبدا، فتحت باب الخروج بقوة، تركت منزلي ورائي وأسرعت راكضا بسرعة نحو منزل خالي !

أرسلها لمليون شخص
وإلا ستموت

في مساء ذلك اليوم البارد، كانت هدى تنوي التحضير لاختبار الرياضيات الذي ستجتازه يوم الغد، وبينما كانت تفتح بريدها الإلكتروني لتفقد الرسائل، فاجأتها رسالة بعنوان مثير: "اقرأها ولن تندم" فبدأت قراءتها على الفور. حملت تلك الرسالة مجموعة من الأحداث والوقائع الماضية عند الناس، وصوراً لأشخاص أدوا الثمن غاليا لأنهم لم يسمعوا النصائح الثمينة المذكورة رفقة الرسالة، يقسم صاحب الرسالة في آخرها أن كل ما ورد بها حقيقي ومؤكد، بل وأكدته الكثير من الأبحاث العلـــمية والهيئات العالمية كما جاء في قوله، لكنها انتهت بتحذير شديد اللهجة :

أرسلها لمليون شخص وإلا ستموت، ستندم أشد الندم أيها القارئ!

تفاجأت هدى بالموضوع واندهشت بشكل كبير في البداية، حيث توقعت أن يكون الأمر مجرد مقلب أو خدعة، لكنها في الوقت ذاته لم تطمئن وقالت في داخلها: " لا يمكن أن أضحي بحياتي هكذا، فالأمر يبدو جديا مع كل التقارير الطبية والصور المرفقة مع الرسالة ".لم تفكر طويلا وقررت بدء

التطبيق فورا، خشية أن يحدث ما لا يحمد عقباه. في البداية، يجب عليها بعث الرسالة لجميع من تعرفهم، وبالطبع سيضطرون بدورهم لإرسالها لأشخاص آخرين، لأنهم سيقعون في الورطة ذاتها، فالأمر هنا أشبه بسلسلة غذائية متوالية الضحايا.

بدأت هدى على الفور ببعث الرسالة لزملاء الدراسة والأصدقاء، كانت الأولى صديقتها شهرزاد، ثم تلتها بسمة وربى وأحلام واللائحة طويلة...أرسلتها لكل التلاميذ الذين درسوا معها من قبل، والذين مازالوا يدرسون معها أيضا، وفي كل مرة تلوم فضولها الزائد المتسبب في هذا الأمر، لكن عددهم بالكاد وصل ألفا مع مضي نصف ساعة. أخذت بعد ذلك تبحث في لائحة أصدقاء أصدقائها، الذين تعرفهم معرفة سطحية بفضل مواقع التواصل الاجتماعي، ورغم كل تلك الجهود المتواصلة، فالعدد ما زال غير كاف لحد الساعة. استنجدت هدى بأخيها وأختها، لتحصل على المزيد من العناوين البريدية لأصدقائهما وزملائهما في الدراسة، لكن وجود أصدقاء مشتركين بينهم سبب لها مشكلة إضافية، فقد بعثت

لهم الرسالة من قبل، وهكذا لم تصل هدى إلى العدد المطلوب بعد، بل حتى إلى ربعه. زاد توتر هدى مع مرور الوقت وكذلك أخويها، غمرهما الرعب من مصير هدى المجهول بعد وقوعها في هذه الكارثة، لم تستطع الاحتمال أكثر فأعلمت أمها بـــاكية والتي خافت على فلذة كبدها من الموت، وبدورها اتصلت الأم بزوجها الذي كان في دكانـه في وسط المدينـة فقدم بسرعة، طمأنوها بأنهم سيقومون بأقصـــى طاقاتهم ووعدوها بأنها ستنجو، عمّت حالة استعجالية طارئة في المنزل، الكل كان يتـــصل ويبحث عن عناوين للناس. مضت ساعتان على بداية الكارثة، جمعوا ما يقارب نصف المليون منذ ذلك الوقت، الجميع في حالة هيستيريا، الكل يجري في المنزل لدرجة أنهم نسوا تناول طعام العشاء، كيف لا و حياة هدى على المحك؟

اتصلت الأم بإخوتها وخالاتها وصديقاتها أملا في العثور على عناوين إضافية، وبدورهم سألوا أولادهم وكل من يعرفونهم رغبة في المساعدة، اتصل الأب أيضا بكل معارفه وزبنائه، حتى الجيران وكل شخص قريب يمكن أن يساعد في جمع العدد

المطلوب من الأشخاص، ترك الجميـــع أعمالهم ومشاغلهم من أجلها ، فالأمر جدي للغاية. بدأت هدى تحس بالألم والغثيان، وقالت لهم بقلق: "لقد ظهرت العوارض المذكورة على ما يبدو!" ارتفعت حرارتها أيضا وبدأت تحس بضيق في التنفس، كما ذرفت دموعها بسخاء، زاد توتر الجميع وبدأوا بتكثيف مجهوداتهم، اتصل الوالدان بكل الأقارب البعيدين والذين لم يسمعوا صوتهم منذ مدة، تفاجأوا في بادئ الأمر، لكنّ الكل ساعد لإنقاذ ما يمكن إنقاذه. العمل في المنزل على قدم وساق، ظلت هدى ترتجف وتبكي، الكل يحاول مساعدتها خوفا ورعبا، فقد أصبح الأمر قضية حياة أو موت، استجمع الكل قواه وبذلوا المزيد من الجهد، الكل يجاهد أملا في سبيل إنقاذ هدى المسكـــينة والتي وقعت ضحية فضولها..

أضحى الوقت فجرا حين اقتربوا من إكمال المهمة، استعملت هدى المزيد من العناوين الإلكترونية من الجرائد والمجلات الترفيهية التي بحوزتها، وساعد الجميع بذلك رغم التعب والإرهاق. عند شروق الشمس استطاعوا إنهاء العدد المطلوب، بعد ساعات طويلة من العمل المضني من لدن

الأسرة والأقارب وسكان الحي بأسره، كان الكل متضامنا ومتآزرا مع محنة أسرة هدى و قد جاء ذلك بنتيجة في النهاية.

في الصباح، ذهبت هدى بوجه شاحب إلى المدرسة لاجتياز الاختبار، لم تكن مستعدة البتة! كانت تفتح عينيها المنتفختين بصعوبة، التقت بصديقتها شهرزاد التي اعتادت احتلال المرتبة الأولى في الصف كل سنة، بدت مبتسمة وفرحة كعادتها ، قالت لها هدى بصوت مرتعش: لم أنم طيلة الليل بسبب تلك الرسالة الخطيرة، التي أرسلتها لكل أصدقائي بما فيهم أنت، لكنك تبدين في حالة جيدة يا شهرزاد، لا بد أنك قمت بإرسالها لمليون شخص كما كان المطلوب، كيف فعلت ذلك؟

ردت شهرزاد على الفور: سأعترف لك، لم أرسلها لمليون شخص، بل أرسلتها في البداية، باسم مجهول لجميع تلاميذ القسم فقط ... حتى أظل الأولى!

أنا أستاذ فاشل

كان حزينا جدا، الاكتئاب يغمر الجزء الأكبر من ملامحه ، ينظر يمنة ويسرة بوجه شاحب وجسم يرتجف كأنه مصاب بشلل رعاشي ، يقلب في الأوراق هنا وهناك، يرمي الأقلام تارة ويضرب على الحائط تارة أخرى، مصدوم من النتائج الكارثية لتلامذته، للعام الخامس على التوالي يخسر القسم بأكمله. إنه الأستاذ قرش مدرس في مدرسة الأسماك المختلطة، كانت هي أشهر مدرسة في مجتمع الأسماك وأفضلها سمعة أيضا، فالمراهقون هناك تتم مراقبتهم جيدا فلا يستطيعون التدخين أو استهلاك المخدرات مثلما هو الحال في مدارس أخرى، كما يوجد خيرة الأساتذة وأجودهم مقارنة بباقي المدارس العمومية أو الخاصة هناك.

استخدم زعنفة ظهره في ضرب الحائط مجددا ، ثم تناول وجبته اللذيذة من سرطانات البحر، رغم أن شهيته مفقودة تماما، ولقلة انتباهه كادت أن تمسكه شبكة غادرة من أحد الصيادين حين خرج لحديقة المدرسة الغنية بالطحالب. لم يبتسم في وجه أحد، حتى صديقه سلمون لم يسلم عليه ،ولم ينتبه لبعض أسماك السردين التي كاد يصطدم بها في طريقه.

قرر فورا بعد نهاية حصته الدراسية ، أن يذهب لطبيب الأسماك حتى يشخص حالته بشكل أدق، ويعطيه الدواء المناسب لحالته النفسية المضطربة. دخل قسمه الجميل بعد تردد كبير، الحزن باد على ملامح كل التلاميذ، أخذ ينظر إليهم يمنة ويسرة ثم صرخ بأعلى صوته أمامهم "أنا أستاذ فاشل !"، خرجت بعض الدموع من مقلتيه وأكمل قائلا في أسى: "لم أستطع أن أصل إلى هدفي أبدا، ولم أستطع أن أجعلكم تنجحون للمرة الخامسة على التوالي"، لكن أحد تلامذته في القسم رفع زعنفته كي يعقب على كلام الأستاذ قائلا : "أستاذي العزيز نحن نحبك ونقدر مجهودك معنا ،فأنت حتى الساعات الإضافية وساعات الدعم خارج عملك تقدمها لنا مجانا، لست السبب يا أستاذ" فرد عليها الأستاذ قروش : "وما السبب إذن؟ "أجاب التلاميذ أجمعين: "نحن أسماك يا أستاذ، و بما أن البرنامج التعليمي منقول من دولة البط المتقدمة، وهدفه تعليمنا الطيران، فلن ننجح لا اليوم ولا الغد ولا حتى بعد مليون سنة."

إياك أن تنجح !

كانت أمه قلقة جدا عليه، لمّا حصل على أعلى معدّل في مدرسته الابتدائية، كانت تحرص عليه جيدا، وتخاف عليه من أي شيء وربما كل شيء في هذه الحياة، لم تسمح له يوما أن يخرج لوحده أو أن يلعب مع أطفال الحي كأقرانه في مثل سنّه، كلّما نجح في مستوى دراسي معين، ازداد خوفها وقلقها عليه بشكل مستمر وتصاعدي، كانت تخشى عليه من العين والحسد وكل الأمور الخفية الأخرى، تطورت حالتها يوما بعد يوم، فأصبح ابنها كالعجينة بين يديها ولا يقوم بأي شيء إلا بإذنها وتحت أمرها، كي لا يتأذى ولا يصيبه أيّ مكروه،

بعد سنوات اجتاز الإبن امتحانات المرحلة الإعدادية بنجاح باهر، لم يحصل على أعلى معدل في المؤسسة فحسب، بل في المدينة بأسرها!.. أصبح حديث الشارع والناس، الكل يتكلم عنه، ويشير إليه في الطريق، أصبحت أمه حريصة عليه أكثر، خاصة بعد أن طلبت وسائل الإعلام من قنوات تلفزيونية وإذاعات إجراء لقاءات صحفية معه، كما تصدّرت صوره كل المجلات والجرائد الصادرة في تلك الفترة، ليعيش نجومية لم يحلم بها من قبل!

أصيب بعدها بوعكة صحية كبيرة، أقعدته في البيت لمدة شهر، ولم يقض عطلة الصيف كغيره من الأطفال، حذرته أمه من أن يفعل أي شيء، حتى لا تتفاقم حالته أكثر، منعته من اللعب والخروج وزيارة الأقارب وكذا مشاهدة التلفاز، بل وحتى النظر عبر النافذة والرد على الهاتف. ازداد خوف الأم أكثر عند اقتراب موعد العـــام الدراسي الجديد، ومن فرط حبها وقلقها اتخذت قرارا كبيرا حتى تنقذ ما يمكن إنقاذه، أمسكت بولدها الوحيد ذات يوم، ثم قالت له بحزم:" يا ولدي، الكل يكره الناجحين في هذه الحياة، لقد لاحظت أن الكل يتكلم عنك و يشير إليك، لذلك كي تحافظ على نفسك وصحتك إياك أن تنجح! لن أسمح لك بالذهاب للمدرسة و إكمال دراستك، لا تنجح ولا تجتهد ولا تبذل جهدا، حتى ينساك الناس ولا يبالون بأمرك".

لم يقل الولد أي كلمة، بل انصاع لقرار أمه بسهولة فقد كان خائفا أيضا. منذ ذلك الحين لم يعد يدرس أو يقوم بأي شيء آخر، يظل طوال الوقت في المنزل كلعبة مركونة هناك، ولا يخرج منه أبدا إلا بوجود كل الاحتياطات اللازمة كي لا يراه

أحد، وما زال إلى يومنا هذا في غرفته وحيدا فاشلا كي لا يصيبه أحدا بسوء إلى الأبد !

فتاة أحلامه

جلس منهزما بهدوء فوق الزربية التقليدية الباهتة، كان شاحب الوجه ومثقلا بالهموم، تبدو الكآبة الشديدة على ملامحه، أخذ ينظر إلى أرجاء الغرفة بحسرة وأسى، مفكّرا فيما يمكن فعله. أخذ يتأمل فُتات أحلامه المتناثر فوق الأرض الباردة، بعد كل المشاكل التي حصلت له، هذا ما تبقى منها بعد أن تم تحطيمها وكسرها بلا هوادة أمام عينيه، لم تعد أحلامه موجودة مثل السابق، أضحت الآن مختلفة جدا، بل ومجرد فُتات فقط.

احمرّت عيناه من البكاء، فلم يعد يدرك ما يوجد أمامه! لم يهدأ باله، منذ وقعت الواقعة، أخذ يدقق جيدا في بقايا أحلامه، كانت تنبعث منها رائحة الفشل التي ملأت المكان برمته، ظل جسمه الضعيف يرتعش باستمرار بل وأحس أنه قد ينهار في أي لحظة. لكنّه استجمع قواه أخيرا وضغط على خوفه، ثم قرر أن ينظر إلى الفتات مرة تلو الأخرى، عساه يخفف ذلك الألم العميق بالداخل، كان يشعر بإحساس لم يذق طعمه من قبل. حرّك يده في اتجاه الفتات برفق، أراد أن يلمس أحلامه مرة أخرى ليحس بها، و يحتضنها إن استطاع، تحرّك رغم الحزن

الشديد الذي يغمره، ثم فكّر بإمكانية جمعها من جديد، فما زال هناك بصيص أمل بداخله، ولا بأس من محاولة أخيرة في النهاية.

قبض في بادئ الأمر على حلم بأن يصبح مهندسا، يا حسرتـــاه! لقد اتبع أهواءه بتهور وأصبح ذلك الطموح الآن مجرد قطع دقيقة، لأنه لم ينجح في التخطيط للأمر، أمسك بعد ذلك حلم الزواج بيديه المرتعشتين، لقد سمع كلام الناس بتأجيله للعيش حرا طليقا، لكنه وجد نفسه اليوم وحيدا. أمسك أحلامه الأخرى تباعا، كان يريد أيضا أن يتخلص من صفاته السيئة ويكتسب أصدقاء جددا، كان يطمح أن يصبح شخصية ذات وزن ثقيل في المجتمع، ويزور بلدان العالم أجمع، كل ذلك ذهب أدراج الرياح. تحسر بيأس على أحلامه الكبيرة والطفولية كما كانوا يقولون دوما، ابتسم حينما تذكر تشجيعات معلميه في مرحلة دراسته الابتدائية، لكنّ دمعة أخرى ترقرقت في عينه اليسرى، ثم سقطت بسرعة على أحلامه المتفتّتة التي ارتوت منها لوهلة!

كان يمسك بكل قطعة يجدها ثم يضعها بحزن بين يديه، لقد استطاع جمعها بالكامل في وعاء صغير، كان يريد أن ينظر إليها في كل مرة ليحس بالحسرة أكثر أو ربما بالأمل المتبقي بندم. إنه يقف الآن حائرا بعد أن وأد أحلامه بنفسه، جاهلا بما يصنع بذلك الفتات، كان هذا الفشل هو غاية أعداءه، لقد استسلم لهم ورضخ لآرائهم، لكنه أيضا يتحمل جانبا من المسؤولية وربما الجانب الأكبر منها. كان إنسانا ضعيفا جدا، فسمح لهم باللعب في حياته كما يحلو لهم، انهزم بسهولة تاركا المجال لهم لتدمير أحلامه شيئا فشيئا، لكن.. ماذا يملك المسكين ليفعله الآن؟ إنه يذرف دموعا غزيرة جدا ناظرا إليها بحزن، لم يستطع إلا الاحتفاظ بالفتات في الوقت الراهن، عسى أن يلوح حل ما في الأفق! انغمس بعد ذلك في التفكير بكل الأيام الماضية، فقد اتّقدت شعلة جديدة من الأمل في داخله.

بينما هو جالس في مكانه، فاجأ أفكاره الشاردة دخول الأعداء من الباب مجددا! أعلموه بقسوة أنهم يريدون أخذ الفتات أيضا ،لكنه نهض من مكانه بتحد، مقررا أن يدافع عن

بقايا أحلامه بقوة هذه المرة. تجمعوا حول المكان بسرعة، فنظر إليهم بغضب و صرخ في وجوههم : "ألا تريدون أن تتركوا لي شيئا ؟! أريد أن أشعر بطعم الحياة فلا أستطيع العيش دون أحلامي!"

لمع بريق ساطع في عينيه، ثم سالت بضع دموع دافئة منها، قال بعزيمة قلَ نظيرهـا:

"سأدافع عن هذا الفتات حتى ولو كلفني ذلك حياتي، فهذا ما بقي لي من أحلامي !" أخذ ينظر إليهم من جديد، تمالك نفسه وحاول أن يبدو أقوى في هذه المواجهة، لكن.. ما لبث أن ازداد عدد أعدائه بسرعة، ثم اقتربوا منه واحدا تلو الآخر وفي كل مرة يصبحون أكثر قوة! أحاطوا به وذكّروه من جديد بماضيه الأسود وأحلامه التافهة السخيفة ،كما كانوا يفعلون معه دائما، أكّدوا له بقوة أن الفشل هو حليفه الدائم، والنجاح هو عدوه اللدود.

هبّت ريح اليأس فجأة، كانت كافية ليحدث ما حدث، أدرك أنّ الأوان قد فات حين قرر الثورة ضدهم،

كانوا أقوى منه هذه المرة أيضا مثل جميع المرات السابقة، لم يعد لعينيه ذلك البريق، فتخلى عن فتات أحلامه بعد أن دافع عنه إلى آخر رمق. استسلم لأعدائه الذين أعلنوا انتصارهم، ثم أخذوا الفتات معهم. لقد أصبح الآن شخصا عاديا جدا وبدون أحلام.

لن أفوز في المسابقة

لم أتصور أبدا أنني سأشرع في تحطيم حلمي الأزلي بنفسي، وأنني سأتنازل بسهولة عن أمنيتي، الثمينة بأن أصبح رساما محترفا في المستقبل القريب، لكن هذا ما حصل بالفعل أيها السادة الكرام!

حين سمعت بأمر المسابقة في المدرسة طرت فرحا، لاسيما أن الجائزة ستكون مبلغا محترما من المال! إنه يكفيني لشراء الكثيرمن الأشياء التي كنت أريدها، رغم أن والدي لا يدخران جهدا في سبيل إسعادي وتلبية كل رغباتي! ففي النهاية أنا أنتمي لأسرة ميسورة الحال.

صحيح أن والدي يشجعاني باستمرار كي أحقق حلمي، وكل المحيطين بي تعجبهم لوحاتي و يطالبونني دائما بالمزيد منها. لكن أصابعي قررت هذه المرة أن تخذلني حين هممت برسم اللوحة ولم تشأ أن تمسك بالفرشاة جيدا، كما لم تستطع أن ترسم ولو خطا مائلا كأنها أصيبت بنسيان ذاكرة حاد.

لم أتساءل في داخلي عن السبب لكوني أثق في أصابعي دوما، فقررت الانصياع لأمرها بهدوء والرضوخ لما أرادته بكل استسلام. بعد عدة محاولات بائسة قامت برسم قلب صغير في

وسط ورقة الرسم لم أدرك مغزاه ولا الجدوى من رسمه بتلك الطريقة !عرفت حينها أنني لن أفوز أبدا في هذه المسابقة !

مضت الأيام بسرعة كمر السحاب وحان وقت إعلان نتائج المسابقة في مدرستنا، لم أستغرب البتة من كمية الانتقادات التي طالت لوحتي العادية جدا أو كما سماها أحد الحكام بالسخيفة أو الأبسط من البساطة، لم أندهش أيضا من كلمات أًساتذتي وأًصدقائي الذين صدموا من هول ما رأوا، فقد أمطروني بوابل من العتابات. لا أنسى أيضا بكاء والدتي وغضب أبي مما شاهداه فقد قالا لي : هل هذا مستواك المعتاد؟ قلب صغير في وسط لوحة بيضاء فارغة! ما الذي أصابك؟

بدوت أمامهم كبرتقالة عفنة، آثرت الصمت وسط كل تلك الكلمات التي سمعتها، لم أشأ أن أرد في تلك اللحظات كعادتي. فقد كنت أتابع بانتباه لحظات تكريم ياسر منافسي اللدود والذي احتل المركز الأول في مسابقة الرسم، كان مبتهجا جدا لأنها المرة الأولى التي يحتل فيها هذا المركز بعد أن كنت أستولي عليه في كل المسابقات الماضية. صافحته

بقوة وباركت له فوزه الثمين رغم اندهاشه بالمستوى المتدني لمنافسه الشرس.

بعدما رأيت ياسر يشتري الملابس لإخوته الصغار، ثم يملأ سلته بالخضر والفواكه ليقدمها لأمه لم أستغرب! كما أعطاها هدية لأنها تعمل بجد من أجلهم منذ وفاة والدهم، شكرت أصابعي على قرارها الصائب، فقد اتخذته بمعية قلبي وعقلي وباقي أعضاء جسمي ربما لقد عرفت الإجابة الشافية عن كل تساؤلاتي السابقة وعرفت لماذا لم أفز في هذه المسابقة!

سأصعد السلّم

أخيرا وضعت السلّم أمامي في المكان المناسب، كما رغبت في داخلي دوما، أنا مبتهج للغاية لأنني وصلت لهذه المرحلة المهمة بعد عناء طويل، فقد جمعت الكثير من النقود لشرائه، أما الآن فالوقت حان لاستعماله و تجربته..

عندما بدأت أستعد للصعود، أحسست بخوف وقلق شديدين، وامتلأ رأسي بوساوس كثيرة ومزعجة، فقد اعتقدت أنني قد أتعثر أو أسقط أرضا في أي لحظة عند الصعود. لكنني استجمعت قواي، و فكرت في كل التضحيات السابقة التي قدمتها من أجل أن يكون السلّم في هذا المكان، وأن أكون اليوم كما كنت أحلم دائما، لقد حان الوقت لإثبات ذاتي و صعود هذا السلم ، فقد شكّ الكثيرون سابقا في قدراتي..

وضعت قدمي في أول درجة في السلـــم، فغمرني شعور غريب لم أشعــر به من قبل، وأحسست أن هذه اللحظة من أهم لحظات حياتي. صعدت بنجاح في أول مرحلة مما أعطاني دفعة قوية للأمام، فأخذت أصعد الدرج تلو الآخر بثبات حتى وصلت للدرج الخامس ، ومع كل درج أصعده، أحس باقترابي أكثر من الهدف فيزداد إصراري و حماسي، لكنني لم أنتبه

لقطع صغيرة من الزجاج كانت في الدرج السادس وحاولت تجنبها ولم أفلح في ذلك، فجرحت يدي اليمنى وبدأ الدم يسيل منها، أحسست بالألم فتوقفت عن الصعود، ولم أعرف حتى مصدر تلك القطع! لم أرغب في دخول المشاعر السلبية إلى داخلي فمسحت الدم بالمنديل ثم نظرت إلى قطع الزجاج مرة أخرى. إنها تلمع ويظهر فيها وجهي الطموح، كم تبدو العزيمة والإرادة مطبوعة على ملامحي! سأشجّع نفسي بنفسي لكي أواصل ما بدأته، تذكرت فجأة نظرات أمـي وأبي قبل أن يسافرا فقد علماني أن أستمر وألا أيأس، كم كنت أريدهما أن يقفا بجانبي في هذا اليوم! لكنهما كانا مضطرين للغياب، لم أكن أعرف أن صعود السلم صعب لهذه الدرجة. ورغم أنني شعرت بالألم ،إلا أنه انقلب أملا بعد رؤيتي للسماء، فلم أرتد عن طموحي، لأنني قمت بجهد كبير للوصول لهذه المرحلة. واصلت الصعود من جديد وأحسست بعزيمتي تزداد بقوة، كان نظري مصوبا بثبات نحو الهدف، فما زلت أسمع أصوات إخوتي الذين شجعوني في كل لحظة لصعود السلم من قبل، لكنهم اليوم غير موجودين معي، إن وصولي للقمة ليس حلمي

لوحدي فقط ، بل حلم كل الأشخاص الذين وقفوا إلى جانبي ، لذلك يجب أن أحققه مهما كان الثمن.

فجأة و بدون سابق إنذار، اندلعت ريح عاصفية، أخذت تهب فتمسكت بالسلم جيدا. لكن، يبدو أنها تزداد قوة وكأنها تريد الإيقاع بي متعمدة، تشبثت جيدا بالسلم و تذكرت كل الأوقات والتضحيات التي مررت بها سابقا وأيقنت بأنها مجرد سحابة صيف عابرة لا محالة !

كنت متأكدا أن الريح ستهدأ ولا بأس من البقاء في مكاني، وهي فرصة أيضا للراحـة والتفكير بشكل مختلف. مضى بعض الوقت حتى توقفت الرياح أخيرا وصعدت درجا آخر نحو الأعلى، لكن يبدو أن السماء امتلأت بسحب داكنة، وقد تمطر في أي لحظة! قد أنزلق بسبب الأمطار وأتعرض للكسر، فهل أعود أدراجي إلى الوراء؟ لم يبق إلا القليل من الأدراج لأصل الى القمة، ولا أريد أن أتراجع بهذه السهولة! لقد رسمت هدفي وحددت طريقي ،وحتى لو نزلت الأمطار، سأراقبها وأفرح بها وسأستمر في الصعود بحذر، وأكثر ما شجعني هو رؤيتي للعديد من زملائي وقد أحضروا سلالمهم

وبدأوا بصعودها أيضا : سهيل ومجد وعمران ... لوحت لهم بيديّ وبادلوني نفس التحية..

لم تسقط الأمطار بعد وما زلت أصعد، لكني سمعت فجأة صوتا يناديني:

يا أيمن! هل يمكنك أن تساعدني؟

نظرت بهدوء لمصدر الصوت ولم أسمع إلا نداء الاستغاثة من صديقي هيثم، يبدو أنه يحتاجني! وقفت حائرا مسمَرا لا أدري كيف أتصرف فقد كان القرار صعبا :

هل سأستمر بالصعود وأكمل طريقي بكل أنانية أم أنزل بسرعة وأساعد صديقي الوفي؟

لن يشعر أحد بما أشعر به الآن ومهما وصفت فلن أوفي لهذا الشعور حقه، لقد تعبت للوصول لهذا المكان ولا أعلم ما الذي يمكنني فعله! أريد أن أكمل طريقي لكن ضميري سيؤنبني طوال العمر، إذا تركت هيثم في هذا الوقت ، لقد اعتدت دائما على مساعدة أصدقائي ولست بالشخص الأناني الذي يتركهم في وقت الشدة، أما حلمي فقد كنت أريد دائما تحقيقه

والوصول إليه، نظرت جيدا للأسفل وفكرت بجدية ثم رفعت عينيّ للأعلى وسرحت بأفكاري ، فقررت أخيرا...

رغم الألم الذي شعرت به في داخلي، حبست دموعي وبدأت بالنزول بهدوء من السلم لأذهب إلى صديقي، كلما كنت أنزل درجا كان الألم يعتصرني وأصبح صوت الاستغاثة أقوى من كل مرة، كلما كنت أهبط أنا وحلمي للأسفل كانت قدمي تحاول منعنا بكل قوتها، وفي النهاية أضغط على نفسي و أهزمها، ما أصعب وما أقسى خطوات الرجوع إلى الوراء، إنها تؤلمني بحق!

أخيرا! ها قد عدت لنقطة البداية! التفتُّ يمنة ويسرة، لكنني لم أجد شيئا وحتى الأصـوات التي كنت أسمعها قد اختفت، وكأن ما كنت أسمعه كان مجرد أوهـــام وهلوسات :

لماذا لم أعد أسمع شيئا؟ هل حدث مكروه لهيثم؟

قررت الذهاب للبحث عنه حتى أطمئن، بينما ما زال بقية زملائي يصعدون سلالمهم، لم أعثر على صديقي أبدا في الجوار، فرجعت إلى مكان السلّم و كانت المفاجأة! لم أجد السلّم أيضا، فقد اختفى من مكانه ، يبدو أن أحدهم قد أخذه

منّي! من الذي فعل هذا؟ الكل مشغول بصعود سلمه! أحس أنني سأنهار في أي لحظة.، لكن.. لا أريد أن تسيطر علي المشاعر السلبية وسأجده لا محالة.

بحثت عنه في كل مكان قريب دون فائدة، استغربت جدا من الأمر، فليس لي أعداء ولا أكره أحدا، أعرف أن من قام بهذا العمل ،هدفه أن لا أصل للقمة وألا أفعل شيئا لكنني لن أستسلم، لا تنزلي يا دموعي فلن أتوقف عن البحث حتى أجد سلَمي. عاودت البحث من جديد وسألت عنه كل من أعرفه، لكن دون جدوى، لقد تعب جسمي وحتى ثقتي بنفسي بدأت تضعف. أشعر أنني أصبحت شخصا آخر غير ذلك الشخص الذي كان في البداية. لم يعد السلم موجودا بعد الآن، أدرك تماما أنني سأتقبل الوضع بصعوبة في هذه اللحظة! لكنني لن أهتم أبدا رغم أن الدموع تنهمر من عينيّ، صحيح أنني تعبت وكنت قريبا من تحقيق حلمي، إلا أنني سعيد لتعلمي هذا الدرس الجديد! سأتفاءل وأبدأ من الصفر وبالتأكيد سأصعد السلم من جديد .

بائع الوقت

انتشر الخبر الغريب في أرجاء البلدة الهادئة بسرعة البرق، وتوالت ردود الفعل كسيل جارف، بعض الناس يؤكدون الخبر بكل ثقة ومجموعة أخرى تنفي و تتهم هذا وذاك، لكنّ هذه الأحداث في النهاية جعلته حديث الموسم بجدارة ! فبعد مجيئه بيومين فقط، أصبح الكل يتكلم عنه وفي ظرف وجيز، صغارا وكبارا ! يتبادلون الخبر بينهم باستغراب، قالوا أنه يبيع الوقت بثمن بخس، وأنه إنسان طيب يمنحك ما تريد من ساعات و دقائق و ثوان ، كيف يفعل ذلك ؟ لا أحد يعلم السر لحد الآن، كان الأمر مثيرا للجدل و يدعو للجنون !

هاهو ذا يتمشى بهدوء قرب إحدى الضيعات الجميلة بالبلدة، تحت أشعة الشمس الدافئة، يلبس ثيابا رثة ويحمل ساعة قديمة في معصم يده، ينصت للعصافير مستمتعا بنسائم الربيع التي تهب، كان يلتفت يمنة و يسرة كأنه يبحث عن شيء ما. وجهه غريب وقد وضع الزمان عليه بصمته بحرية، أخذ يتجول بعصاه في المكان وعلى محياه ابتسامة خفيفة، تخفي الكثير من الأسرار أو ربما ألما عميقا دفينا لا يعلمه أحد، يضرب بيده في طبل صغير وينادي بصوت متقطع :

"وقت جاهز للبيع أيها السكان ! من يريد شراء الوقت ؟ "

يلمحه أحد الشباب بسرعة فيجري نحوه، يوقفه و يترجاه بألم ! فهو يريد فرصة لرؤية أخيه قبل أن يغرق، قال بصوت كئيب: "أرجوك أيها الرجل الطيب، قف إلى جانبي وساعدني !" امتزجت دموعه بالعرق. كان الوضع مؤلما جدا بالنسبة للبائع ولم يكد يكمل الشاب حكايته حتى جاء رجل آخر أيضا، كان يبكي بقوة ويصرخ لأن أباه في غيبوبة و قد اقتربت لحظة موته على ما يبدو، صرخ حزينا : "أريد أن أراه و أتكلم معه وأقبل يمناه، سأعطيك كل ما تريد من مال إذا حققت لي رغبتي " كان يحكي حتى كاد يغمى عليه، وجاءت بعده امرأة أخرى، تريد مزيدا من الوقت لرؤية ابنها المسجون في زيارتها الموالية له. إنها تريد أن تحضنه وتقبل كل مكان من جسمه، كانت تردد بحسرة: "أنا أم يا شيخنا ! من يحس بي؟ "اختلط كلامها بدموعها وكان صوتها من أحزن الأصوات في العالم، اختفت الابتسامة من على وجه البائع فجأة ! لكنه سرعان ما استعادها عندما تذكر أمرا ما.

توالت الحالات والمواقف أمام الرجل الغريب، فهذا طفل يريد إنقاذ حيوانه الأليف من حادث سيارة، وفتاة صغيرة تريد إنقاذ أمها من نصاب محتال، وأخرى تريد تأجيل مسابقة الشعر كي تبعث بمشاركتها. اجتمع حوله كم هائل من الأشخاص البائسين اليائسين، لم يتذمر الرجل إطلاقا بل كان يسمعهم باهتمام ويبتسم، بل ويطمئنهم ويتمتم بكلمات غير مفهومة من حين لآخر...وفي الوقت نفسه بدا كأنه يقاوم حزنه بشدة بالغة، فقد كانت وجوه المحيطين به كئيبة بشكل لا يطاق..

الكل يستنجد به، يبدو أنه الأمل الوحيد الذي بقي لهم، يتوسلون إليه بيأس رغم أن حقيقة الأمر ما زالت غامضة لحد الساعة، إلا أنهم متشبثون به، حتى لو كانوا يدركون في أعماقهم أنه نصّاب أو محتال. أصبح هذا الرجل قبلة لليائسين و الفاشلين الذين لم يعد أمامهم إلا شراء الوقت لحل مشاكلهم، أو ربما هم يقنعون أنفسهم بأنه الحل الوحيد...

ظللت طوال وقت أراقب ما يجري ويدور، ففاجأني أخي الذي جاء مسرعا نحوي: "همام، لقد فاتك امتحان ولوج كلية الطب بسبب جلوسك منذ الصباح هنا ! "

دعوني أطير

منذ صغري و أنا احب الطيران، رغم أنني لا أجيد المشي أو الجري باستثناء القفز. كما أنني لا أحب "التورتات" والحلويات بل أكلتي المفضلة هي ذباب البحيـــرات واليعاسيب الطائرة. لكن كل هذا لم يجعل من حولي يتهمونني بالجنون أو الغرابة – كما تتهمونني وأنتم تقرؤون هذه الأسطر بالتأكيد – حتى جاءت فكرة الطيران في دماغي، ذلك اليوم حينما أخبرت من حولي برغبتي الجامحة في أن أطير، دمعت عيونهم من الضحك وأمطروني بوابل من الشتائم والمسبات، كما سخروا مني واستهزؤوا بقسوة حتى كادوا يبتلعون ألسنتهم.

لم يمسك أستاذي في المدرسة نفسه وقال لي : انس الفكرة يا بني، لا يجب أن تفكر في الطيران أبدا، لكنني أجبته لماذا يجب أن أرضخ لهذا الأمر ولا أفكر في التغيير! فرد علي الأستاذ : نحن الضفادع لم نولد كي نطير، بل فقط نقفز ونأكل الحشرات ونصدر أصواتا مزعجة لا يستشعر جمالها أحد، أنت ضفدع يقفز فقط، فلا تخالف القوانين وتخرج من القوقعة أرجوك! فأجبته بكل حماس : لكن عباس بن فرناس من فصيلة البشر وهم لا يطيرون أبدا، ومع ذلك فقد جرب الطيران

ولم يستسلم! إنه قدوتي في هذه اللحظات! حينئذ صرخ الأستاذ في وجهي : فماذا كان مصيره بعد ذلك يا ترى؟ هيا تكلم ! أجبني ! ألم يمت وتحطمت عظامه إربا إربا ! هل تريد أن تفقد حياتك مثله؟

لم أستطع مناقشة أستاذي أكثر، ولا والديّ ولا أي فرد من أفراد أسرتي، حتى أصدقائي الذين طالما لعبوا معي وساندوني في السراء و الضراء، تركوني وحيدا هذه المرة. لم يدافع عني أحد ولم يتعاطف معي أي ضفدع في البحيرة، أحسست كأنني ارتكبت إثما عظيما أو ذنبا لا يغتفر، رغم أنني لم أفكر إلا في التغيير وتجربة الجديد، إن مجتمعنا الكبير هذا ظالم جدا، فما إن تتكلم بما لم يأت به الأولون حتى تصبح من المغضوب عليهم فورا فتصاب بلعنة القولون..

مرت عدة أيام وأنا منبوذ في مجتمعي، أصبحت حديث الجميع : ضفادع وشراغيف، حتى مجتمع السحالي عرف بأمري، وكذلك البط وسلاحف النهر، فلم يعد يتكلم معي أحد.

والجميع اعتبرني مجرما وتهمتي الكبيرة هي التفكير في الجديد، لكنني لم أترك هذه الفرصة تمر دون أن أقرأ الكثير عن الطيران. حينما ذهبت لمكتبه البحيرات لم أجد الكثير من الكتب العلمية، فلا أثر لها، وعلى النقيض من ذلك فكتب : "ألذ المأكولات من الحشرات" و"اعرف شخصيتك من قفزتك" تحتل أرفف المكتبة، لذلك استعرت بعض الكتب من صديقي السنجاب الطائر الذي تعرفت عليه في أحد الأيام، كما طلبت منه أن يقدم لي النصح والإرشاد حتى أحقق أمنيتي. فهو لا ينتمي لفصيلة الطيور ومع ذلك استطاع القفز عاليا حتى أحس بطعم الطيران، لكنه في مجتمع مختلف كل الاختلاف عن مجتمعي! فكل السناجب الطائرة جربت القفز عاليا من الأشجار ونجحت فيه، لقد ساعد بعضهم البعض حتى حققوا ما رغبوا فيه دوما. أما مجتمع الضفادع فلا يعرف إلا الانتقاد، لا يمكنهم أن يساعدوك أبدا أو يدعموك بالكلام الطيب على الأقل، فالقوانين هي القوانين لا يمكن تجاوزها أو تخطيها في نظرهم، حتى لو كانت خاطئة أو مؤذية. استمر الحال على ما هو عليه، فمرت أيام عصيبة جدا، أخذت كفايتي من المعلومات

حول الطيران، بحثت في شبكة الأنترنيت ،وقرأت كل الموسوعات التي حطت رحالها بين يدي، أيقنت جيدا أن الأمر قضية حياة أو موت، فحلمي هو ملكي لوحدي ولا يحق لأي كائن حي أن يمنعني من تحقيقه. كلما سمعت ضفدعا يقول :

كيف لذلك الضفدع أن يطير وهو لا يستطيع حتى أن يقفز جيدا ؟

أرد عليه : سأحاول بكل قوتي، وسأثبت لكم أن الضفادع أيضا قادرة على الطيران مهما كانت الظروف، فقد تعلمنا دائما أن الضفدع الذي يواجه الصعوبات ويسعى لتحقيق حلمه يصل دائما لمبتغاه مهما طال الزمن. أخيرا جاء الموعد المحدد الذي جهزت له منذ مدة، أعلمت الجميع بالأمر، فقد قررت الطيران أمام الجميع، لقد تحديت الكل من قبل وأقسمت أن أحقق حلمي مهما كان الثمن غاليا..

حينما حضرت جميع الضفادع إلى حافة الجبل، كنت على جذع الشجرة القريبة منها، كتبت في لافتة كبيرة : "اليوم سأنجح في تحقيق حلمي، وأهدي هذا النصر إلى طائر الكيوي"، كان الجميع مذهولا ومتشوقا لما سيحدث، وشعرت

لوهلة بالفخر لأنني أثرت ضجة في مجتمعي ،وجعلت الجميع يفكر ويخرج من القوقعة كما كنت أرغب دوما. لقد حققت أسمى هدف لي وقمت بما لم يستطع القيام به أحد، نظرت إلى الجميع وقلت لهم بصوت عال : " سأقفز الآن من الشجرة نحو حافة الجبل، وسأحقق حلمي بالطيــران وتذوق الطعم الذي تذوقه كل من داعب الهواء أجنحته! " حاول الجميع منعي قائلين : "ستفقد حياتك" لكنهم لم يستطيعوا ذلك ولم يفلحوا، لقد صممت على تحقيق هدفي حتى لو فقدت حياتي، فصرخت عليهم جميعا : دعوووني أطيببر!

صحيح أنني سأموت لكنني... سأطير!

خمس قطع حلوى

كان من المفترض أن أبدأ العمل اليوم في متجر كبير وسط المدينة، حتى أن والدتي فرحت كثيرا وإخوتي الصغار كذلك حين أخبرتهم يوم أمس، لكن الرياح تأتي بما لا تشتهي السفن كالعادة، فقد ذهبت وطردت حتى قبل أن أبدأ العمل! وحلت مكاني فتاة شقراء فائقة الجمال تقوم بمهمتي. حزنت جدا ولم أعرف كيف أتصرف وماذا سأفعل؟! لم أستطع العودة إلى المنزل بخفي حنين ،وترددت كثيرا في ذلك.. فقد خجلت من نفسي، كيف سأعود وأفراد أسرتي ينتظرون مني خبرا آخر على النقيض تماما؟ فكرت مليا ووجدت أن إحضار بعض الهدايا لهم قد يخفف الحزن قليلا. قررت المرور للسوق على الفور، أردت أن أسعدهم وأبهجهم بشيء ما، بيد أن إمكانياتي لا تسمح بشراء ألعاب لإخوتي الصغار أو ملابس لأمي. لم أشتر لهم أي هدايا كما كنت أنوي للأسف الشديد، فنقودي القليلة جدا لم تكف إلا لشراء خمس قطع حلوى لإخوتي الصغار الأربعة و أمي. فور انتهائي من مهمتي في السوق لمحت رجلا غنيا يشري ما لذ و طاب من الأكل، ظللت أنظر إليه وإلى مشترياته بألم، كم غبطته! بل حسدته فعلا وحتى النخاع –

سأعترف بالحقيقة – وتمنيت أن تطير كل مشترياته ونقوده و تصبح لي! شعرت للحظة أنني شرير جدا! لكن، ألا يحق لي التساؤل : لماذا لا يراعي الأغنياء مشاعرنا – نحن الفقراء – ويشترون ما يريدونه في السر أو من المتاجر الكبرى البعيدة عنا، لماذا يؤذون أعيننا هكذا؟ ولا يحترمون مشاعر الآخرين؟

تساءلت كثيرا في داخلي بينما كنت أراقبه وأشتهي مشترياته اللذيذة! كم أحببت تذوق ما اشتراه مع أسرتي ،وآكل تلك الكعكات الملطخة بالكريما والشوكولاتة! لم ينتبه لي وأنا أراقبه لكنني شعرت بالراحة نسبيا..

بعد انتهاءه من محل الحلويات انتقل الرجل الغني إلى محل آخر، ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أتبعه كالمجنون وأتلذذ بما يفعل... أصبحت منجذبا إليه كما ينجذب المسمار للمغناطيس ... لاحقته بحذر حتى وصل إلى محل الألعاب! صرخت في داخلي :

يا لسعادة أطفاله وما أروع تلك الألعاب التي سيعطيها لهم! لقد اشترى لهم سيارات صغيرة مختلفة الألوان والأشكال، إضافة إلى طائرة تطير بواسطة آلة التحكم، كم

حسدت أطفاله المحظوظين من كل قلبي! هنيئا لهم، لكنني تمنيت أن تتحطم كلها بين أيديهم، فليس من المعقول أن ينعموا لوحدهم بأجمل الأشياء؟

تابعت المسير وراءه لعلني أشفي الغليل الذي بداخلي، كما فكرت في أن أطلب منه فيما بعد بعض ما اشتراه، لعل قلبه يحن لي ولمأساتي، قررت المحاولة رغم أنني لا أريد أن أتذلل أمام الأغنياء، ولكن.. ما باليد حيلة، فهدفي هو إسعاد أفراد أسرتي، لأن قطع الحلوى التي اشتريتها في الغالب لن تفي أبدا بالغرض..

توقف بعد ذلك عند محل الأناقة كي يشترى ثوبا جميلا بلون براق، وفستانا من أروع ما يكون، لا بد أنه لزوجته! ستكون مبتهجة جدا بما سيقدمه لها زوجها، لكنني أكره الأغنياء و دعوت الله أن يتمزق وهي تجرب ارتداءه..

واصلت المشي خلفه دون أن يلاحظ ذلك وقد أتعبني الأمر كثيرا... أما هو فقد واصل شراء المزيد من الأشياء والهدايا الثمينة... يا لسعادة أسرته!

تتبعته حتى وصلت لمنزله الفخم أخيرا... أردت أن أتكلم معه لكنني ترددت في آخر لحظة، دخل بيته بكل فرح وبقيت أنا قرب الباب دون أن يلاحظني، لكنني فوجئت أن منزله الضخم غير مضاء، كما لم أسمع أي ضجيج أو فرح بالهدايا التي أحضرها. قدم إليّ بواب المنزل بسرعة وقد لاحظ دهشتي الكبيرة قائلا لي : لست أول من يتفاجأ مما يراه، لكن صاحب المنزل تعرض لحادث منذ شهر فماتت زوجته وأطفاله الأربعة، ونجا هو من الحادث، تأثر كثيرا لدرجة أنه يعتقد أنهم ما زالوا على قيد الحياة، ولذلك فهو يشتري لهم يوميا ألبسة وألعابا ومأكولات مختلفة الألوان والأشكال، المسكين...

بعدما حكى لي البواب تلك القصة نظرت إلى السماء في حزن، ضممت قطع الحلوى الخمس جيدا بين يدي ثم حضنتها بكل قوة وأحسست بها أكثر دفئا من أي وقت مضى ...

كيلو أحزان في وجدة

أخيرا عدت لحبيبتي وجدة[2]، بعد غياب سنة كاملة بسبب الدراسة في مدينة تطوان، كنت أفكر طوال الوقت في عشقي السرمدي لمدينتي عندما كنت في الحافلة، في الحقيقة بدأت أشم رائحتها الزكية منذ وصلنا لبلدة بني درار[3] رغم أنها امتزجت برائحة الشواء المنتشر هناك. لا أعلم لماذا يحب أهل وجدة مدينتهم لهذه الدرجة؟

فهناك سحر غريب يربطنا– نحن الوجديون – بها وسيشاطرني الرأي بالتأكيد كل من غادرها وعاد إليها بعد مدة! أحس بشعور ليس له مثيل بعد أن خطوت أول خطوة على أرضها الطاهرة، كم أغبط نفسي! أريد أن أتجول في كل مكان بها، أرغب في القيام بالكثير من الأمور..... ولكنني آمل أن تكفي هذه العطلة القصيرة لكل مشاريعي.

بعد لقاء حار بأفراد الأسرة، ارتحت قليلا من عناء السفر في غرفة الضيوف ثم استمعت لقصصهم وحكاياتهم واحدا تلو الآخر، كان الأمر أشبه بحلم كبير تم تحقيقه، فشوقي لأسرتي وبعدي عنهم جعلني أبقى في المنزل مدة يومين كاملين بعد

[2]مدينة تقع في شرق المغرب
[3]بلدة قريبة من مدينة وجدة المغربية

عودتي، إلى أن قررت الخروج أخيرا لرؤية العالم الخارجي. كانت أمامي لائحة كثيرة لزيارات الرحم والتي لا بد من القيام بها، كما توصيني والدتي دائما بأخذ الحليب أو "قالب" سكر وهو الهدية التقليدية التي يأخذها المغاربة عند زيارة الأقارب، أو على الأقل شراء الحلويات للأطفال فهذا الأمر يسعدهم. لكنّني فكرت جيدا وقررت ألا آخذ معي رفيقا إلا سلتي، قد يبدو الأمر غريبا، لكن هذا ما فعلته! فقد اعتدت على ذلك لسبب من الأسباب، لكنها تثير الشكوك حولي دائما، وفي نفس الوقت لا أتخلى عنها أبدا في أي زيارة من زياراتي! ربما لأنها تعيد لي ثقتي بنفسي عندما أحس بالضعف ... ربما!

انطلقت جولتي برفقة سلتي في المدينة، كنت أرغب أن أتمشى في كل بقعة من هذه المدينة المباركة، وأن أتكلم مع الطرقات وأشم رائحة الجدران والبنايات ... بدأت كالعادة بزيارة منزل جدّي، فكان يحكي عن الحرب أيام الاستعمار وأمور أخرى عاشها ما زال يتذكرها كأنها وقعت في الأمس فقط، أما جدتي فكانت تنهره باستمرار ألّا يحكي لنا عن "خزعبـلاته " كما تصفها هي والتي يعيد حكايتها للـمرة الألف

ربما، وتنصحني دائما بنصائح كثيرة في الحياة، ثم تختم كلامها دائما بتقبيلي، ثم تدعو الله أن يبعد عني "أولاد الحرام". فيبدأ نقاشهما المعتاد، لكنهما يحبان بعضهما البعض رغم أنهما في هذا العمر، كنت أصغي باهتمام لما يقولانه واضعا سلتي بجانبهما، وقد اعتادا على ذلك الأمر لذلك لم يسألاني عن السبب، وبعد أن ودعتهما اتجهت فورا نحو منزل خالتي التي أحسست أنها من أحزن الأشخاص في العالم. رغم أن زواجها يبدو كأي زواج في هذه الحيـاة، إلا أنها تضحي كثيرا من أجل أطفالها. حـاولت أن تربيهم وتدرسهم لوحدها، لأن زوجها يبقى طوال الوقت خارجا ولا يهتم بأمور أسرته، كل هذه المشاكل لم تسقطها أرضا، بل زادتها قوة فما زالت تريد البقاء والاستمرار والنضال وحيدة من أجل أطفالها، لم تبخل خالتي المسكينة بدموعها التي سقطت على الأرض، فجمعتها ومسحتها بمنديل أحمله معي ثم وضعتها في السلة خلسة، بعد أن ذهبت للمطبخ لإحضار طبق من حلويات "كعب الغزال" الذي يعجبني.

أما عندما زرت منزل عمتي التي لا يأتي إليها أحد، فقد استقبلتني بالتمر والحليب كما يُستقبل العرسان في تقاليدنا، جمعت منها بضع دموع هي الأخرى، فقد حكت عن أحزان كثيرة تملأ القلب بسبب الوحدة القاتلة التي تعيشها بعد وفاة زوجها، وهجرة أولادها للعمل في الخارج. في كل زيارة أفتح سلتي بطريقة تثير الريبة وأحاول ما أمكن ألا يراني أحد، هي تبدو فارغة بالنسبة لجميع الناس إلا أنا، فهي سلة مميزة بالنسبة لي. أضع بها المناديل المبللة بدموعهم وأحزانهم كي أحملها معي. ما إن أكملت زيارتي الثالثة حتى رنّ هاتفي، كان المتصل صديقي أيمن طالبا مني الجلوس معه في المقهى، اتجهت فورا إلى المكان المطلوب كي ألتقيه، كانت ملامح وجهه حزينة بشكل لا يطاق، كما كان مشغولا جدا بالاستعداد لعرسه والتحضير لكل ما يلزمه، لكنه بحاجة إلى الكثير من المال. لم يجد هو الآخر حلا إلا ذرف بضع دموع رجالية بخجل، حاولت الترفيه عنه ووعدته بالمساعدة إذا وجدت طريقة ما ، لكنني فعلا أشفقت عليه جدا فقد كان في حالة يرثى لها، بعد نهاية

اللقاء لاحظت أن سلتي بدأت بالامتلاء، فخشيت أن يتطور الأمر لما لا يحمد عقباه!

في كل مكان بهذه المدينة، من باب "سيدي عبد الوهاب" و"الباب "الغربي" في وسط المدينة وصولا إلى "لازاري" وحي "كولوش" مرورا بأحياء أخرى. قطعت المدينة طولا وعرضا، من شمالها إلى جنوبها... تأتي الأخبار الحزينة الواحدة تلو الأخرى، من حيث لا تدري، كأن الأحزان تقدم هنا بالكيلو أو أكثر، لو كانت هناك وحدة لقياسها. استمعت لعذابات الناس وفي أحيان كثيرة، كنت أحبس دموعي رغما عني، وأتظاهر بالقوة وأتفاءل رغم أن الواقع غير ذلك، كل واحد يروي همّه و شجنه، فيما أحاول التخفيف عنه بشتى الوسائل رغم أنني لا أجيد هذا الفن أبدا، فأنا بالكاد أنجح في رفع معنوياتي، ولا يشهد على هذه الأحزان إلا أنا وسلتي الكتومة هذه. اعتقدت أنني سأرفّه عن نفسي في هذه الأيام بمدينتي، لكن العكس هو الذي حصل للأسف الشديد، اشتقت في الحقيقة إلى أهلي، أردت أن أحكي لهم عن مدى حبي لهم، وأيضا عن عذاب العيش في مدينة بعيدة. رغبت في أن أقص عليهم قصصا عن

معاناتي، وأمور الدراسة وفشلي في المسابقة الرياضية، وحتى السرقة التي تعرضت لها وإهانات ذلك الأستاذ الظالم. لم أحك عن هذه الأمور قط، ربما قد أبوح بما في جعبتي لاحقا، لكنني لم أستطع في الأيام الماضية! لم أرد أن أثقل كاهلهم وأملأ آذانهم بالمزيد من الأحزان، لم أجد حلا سوى إفراغ جزء من دموعي في سلتي عند العودة للمنزل بعيدا عن الجميع، فالرجال لا يجب أن يبكوا في نظر الناس. أصبحت السلة ثقيلة جدا في هذه اللحظة، وفوق قدرتي على الاحتمال، لقد امتلأت عن آخرها والأمر بدأ يخرج عن السيطرة هذه المرة !

حبست نفسي في غرفتي بعنف لمدة أيام طويلة، بعد ذلك. أحسست بكل أنواع الكآبة واليأس التي يمكن أن يشعر بها أي كائن حي، فكرت كثيرا في كل ما جرى، كان الأمر يزداد سوءا يوما بعد يوم حتى فقدت شهيتي للطعام، وحتى حبي للحياة! غمرتني تساؤلات كثيرة في داخلي، لكنني لم أجد لها أجوبة مناسبة! كم تمنيت أن أملك عصى سحرية لأخفي بها كل أحزان هذا العالم! لكن هذا الأمر مستحيل تماما!

لم أعد قادرا على فعل أي شيء! فكرت جديا في إنهاء هذه الحياة الحزينة. ركبت في سيارة أجرة كبيرة دون أن يعلم أحد، انطلقت أنا وسلتي في اتجاه شاطئ رأس الماء[4] في البحر الأبيض المتوسط، تحركت وكل جزء من جسمي يرتعش، اختلطت دموعي مع ماء البحر هناك، أحسست بالارتياح عندما سمعت صوت الأمواج، أمسكت سلتي بهدوء وأفرغت كل ما فيها، ثم غسلتها جيدا كي أبدأ حياة جديدة صافية في الأيام القادمة.

[4]مدينة مغربية شاطئية في الشمال الشرقي للمغرب

نبذة عن الراحلة زهرة زيراوي

تقول الزهرة :

" لم أتخرج من أكاديميات للفنون، على طريقة الأم تيريزا أن في دواخل كل منا عوالم للمعارف ثقافة وفنا،وأن عليك النزول إلى ذلك العالم المتعدد الذي يوجد فيك أنت ،الحياة بحد ذاتها هي معلمتي في الكتابة كما في الفن .

يجب الانفتاح على العالم والاختلاط بالثقافات الأخرى وتهوية القماش بمناظر أخرى ،بقيم أخرى كما يرى ماريو بار غاس يوسا من أجل أن يستعيد الفن والأدب اندفاعه الذي سلبتهما إياه الحياة السهلة المبتذلة ، علينا الخروج للقاء العالم ، والسفر في البحث من أجل التضمخ برياح أخرى.

رفضت ثقافة الصف في الكتابة ، أيضا أرفض الامتثال لما يرفضه كهنة الفنون عامة والتشكيل خاصة، الرفض عندي ليس لمجرد الرفض بل لأنه يستدرجني لولوج عوالم أخرى ، عوالم تمنعت فأدمنت طرق بابها فدعتني أخيرا للدخول.

للزمن الذي نعيش فيه سلطة علينا ، فلوحة المهرج تعكس عالما تسيطر فيه القوة بقناع ناعم ، كما في لوحة "امرأة بوجهين" ،وجه للبراءة المخادعة سخفي في ثناياه نظرة الحقد الثاوية تحت الوجه السمح ، أما لوحة "لا ننسى ولكننا نتعود" ، فقد تم توظيف المشهد اللوني ، وليس الخط هنا هو المراد بل المدعو هنا هو الصوت ، وهو تعبير في الأخير عن متخيل لعالم يعيش تغيرات ثقافية سريعة لا تثبت على حال ،والواقع يسافر عبر المرئي الذي يدفع إلى المتخيل .

أرفض الرسوخ والثبات وتوزيع الكتل اللونية وفق قواعد الكهنة ، أحببت ثورة الانطباعيين المجددين للفن التشكيلي ، وأحببت أعمال الفنانين الوحشيين وطرائق توظيفهم للون ، كما أحببت عوالم شاغال على الفن كما عناصر الإبداع عامة أن تكسر القالب الضيق الذي يروج له البعض من الفنانين والنقاد والمقتنين .

تحاول فرشاتي أن تتعقب هذه العوالم كيفما راودتني ، بألوان تتطلع لأن تعكس عالم الفوضى واللا يقين،

ولا أكبح فرشاتي في أن تتسلل لما هو عاطفي، إنساني ، كوني.

اللوحة هي الأخرى لها ثورتها التي تدفع نحو مشهد آخر، يولد من رحم مشهد كان، لكن له وجها آخر يرفض الاستنساخ، هي ثورة على الأنماط، لأن الأنماط لا تدفع إلى شيء جديد، وما يعنيني في الأخير هو توازن عالم اللوحة."

زهرة زيراوي : سيرة ذاتية

- تخرجت من دار المعلمين سنة 1961.
- تخرجت من مركز تكوين المفتشين بالرباط سنة 1974.
- عينت أستاذة بمركز تكوين المعلمين بالبيضاء في نفس السنة.
- اتجهت إلى الصحافة ضمن هيئة الكتاب المساهمين بمجلة الزمان الجديد اللندنية.
- عضو إتحاد كتاب المغرب.
- رئيسة جمعية ملتقى الفن بالدار البيضاء.
- عضو مؤسس لنقابة الأدباء والباحثين .

- كتبت الشعر والقصة والمقالة الأدبية ومارست التشكيل والنقد الفني.
- جعلت بيتها صالونا أدبيا منذ عام 1990، حيث نظمت فيه لقاءات مفتوحة وقراءات شعرية للشباب تهدف لخصوصية ثقافية ومد اليد للطاقات المحلية، كما حضرت ندوات الصالون جنسيات عربية وأوروبية، وقد أشارت مجلة الهلال القاهرية التي أسسها جرجي زيدان سنة 1892 إلى ذلك في رسالة المغرب عدد أكتوبر 1997 ص : 105 عمود1 و 2.
- حازت على الوسام الملكي - الاستحقاق الوطني من الدرجة الممتازة، وشهادة الدكتوراه الفخرية عن الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب.

صـدر لهـا :

"الذي كان! " مجموعة قصصية، مطبعة النجاح الدار البيضاء سنة 1994.

- "نصف يوم يكفي" مجموعة قصصية، دار النشر المعرفة سنة 2000.

- "مجرد حكاية" مجموعة قصصية قدم لها كل من الشاعر عبد المنعم رمضان والأديب سعيد الكفراوي، مطبعة النجاح الجديدة سنة 2002 .
- "ليس إلا! " قصائد شعرية، قدم لها الشاعر عفيفي مطر، دار مريت - القاهرة.
- "حنين ! " مجموعة قصصية دار النجاح الجديدة سنة 2004.
- "التشكيل في الوطن العربي، مقامات أولى" سلسلة من لقاءات مع فنانين من مختلف أنحاء الوطن العربي : مصر، سورية، العراق، الجزائر، تونس، المغرب، عن دار النشر إيديسوفت، الدار البيضاء.
- "ولأني !" ديوان شعر، منشورات ملتقى الفن.
- "الفردوس البعيد" رواية، دار العين بمصر سنة 2015 .

كما أنها نشرت كتاباتها الأدبية والنقدية الفنية في المجلات التالية :

الزمان الجديد - المدى الثقافة المغربية - أخبار الأدب - عمان - الآداب البيروتية -القصة - الناقد سابقا.

شاركت في عديد من المعارض الجماعية بمجموعة من أعمالها التشكيلية في جهات عدة من العالم :

فيينا / إيطاليا / بروكسيل .وبكثير من القاعات الفنية بالمدن المغربية : البيضاء . سطات . فاس ..

رحلت إلى فردوسها البعيد بتاريخ 23 أكتوبر 2017 بمدينة الدار البيضاء.

الفهرس

كلمة أسرة الراحلة.....3
سأكون في داخله 5
أوراق صداقتنا.....13
قصص سيئة جدا 19
أرسلها لمليون شخص وإلا ستموت.....29
أنا أستاذ فاشل.....37
إياك أن تنجح ! 41
فتات أحلامه.....47
لن أفوز في المسابقة 55
سأصعد السلّـم.....61
بائع الوقت.....69
دعوني أطير 75
خمس قطع حلوى.....83
كيلو أحزان في وجدة 89
نبذة عن الراحلة زهرة زيراوي 99